الدولة الحماديّة

المغرب قبيل قيام الدولة الحمادية:

حكم الفاطميون بلاد المغرب الإسلامي لفترة طويلة من الزمن وظل سكانها تحت سيطرتهم منذ توليهم الحكم فيها، وكانت هذه الفترة حاسمة وفاصلة في تاريخ المغرب وشمال إفريقيا عامة، إذ أنه بخلافتهم أصبحت السلطة في المنطقة بربرية مغربية خالصة، بصرف الفاطميين لأطماعهم إلى بلاد المشرب وفتحهم لمصر واهتمامهم بالنزاعات القائمة بينهم وبين الدولة الأموية، استخلف آل زيري الصنهاجيين الحكم عن العبيديين في بلاد المغرب

قيام الدولة الحماديّة

يقول الميلي:وعقد المنصور بن بلكين لأخيه حماد على عمل أشير والمسيلة مستكفيا به أمر زناتة الأموية ومن ينازعه من آله، فلم يزل حماد مخلصا له وتداول هذا العمل مع أخيه يطوفت وعمه أبي البهار، وتوفي المنصور فخلفه ابنه باديس وأقر عمه حماذا على عمله وأفرده به سنة 387هـ...ولم يزل باديس مستعينا بحماد يستقدمه متى شاء إلى صبرة ويخرجه لأطفاء الثورات، وفي سنة 395هـ كلفه بحرب زناتة فاشترط عليه ولاية المغرب الأوسط وكل مايفتحه وأن لا يستقدمه، فوفي له بما شرط.(1)

و قيام الدولة الحمادية كان نتيجة الانشقاق الحاصل في الأسرة الزيرية الحاكمة في عهد المنصور بن يوسف أمير الدولة الزيرية، حيث أن أكبر أعداء الدولة هم الزناتيون وكان حماد من أبرز وأشجع المحاربين لهم يتمكن من هزيمتهم عند كل ثورة يقومون بها، وقد ارتأى أنه لابد من حصد ثمار حقيقية لجهوده التي يبذلها في محاربتهم، إذ أتاح بمحاربته لزناتة للدولة الزيرية إمكانية التوسع والانتشار في المغرب الأوسط فطلب من ابن أخيه باديس تولي الحكم في منطقة المغرب الأوسط والمناطق التي يقوم بفتحها.

وفي المقابل أحس باديس بعد تولي عمه حماد الحكم على بعض المناطق إمكانية تمرده عليه وخروجه عن طاعة الدولة الزيرية أمره بالتنازل عن ولاية بعض المناطق، وهذا مااستثار غصب حماد وأعتبره انقاصا من جهوده ومن ثمرة جهوده بعدما كان قد بنى مدينة القلعة والتي اصبحت تسمى قلعة بني حماد وهي حصن الحماديين، وقابل طلب ابن أخيه باديس بالرفض وكانت بداية الخلاف بينهما وبداية حرب الاستقلال بالنسبة لحماد وفرصته في إقامة دولة مستقلة خاصة به، وكانت هذه الفترة الحاسمة التي تمخض عنها قيام الدولة الحمادية بفض الجهود التي بذلها عميد الأسرة الحمادية وبوسائل متعددة لبناء وتأسيس دولة كبرى في المغرب الأوسط، وذلك بإبراز نفسه كرجل جدير بقيادة دولة ينفرد بها وحده وتكون لأبنائه من بعده، لكن الفترة التي استقرت فيها الدولة وأصبحت ذات كيان سياسي معترف به في المغرب الأوسط وغيره تمتد من سنة408هـ إلى 447هـ.

وخلال هذه المدة من الزمن عرفت الدولة الحمادية انتشارا واسعا حيث وصلت حدود فاس غربا، وامتدت شرقا حتى بلغت تونس والقيروان وصفاقس. وجنوبا إلى الزاب ووادي ريغ وورقلة، كما عرفت تطورا في جميع المجالات فكانت مركزا للثقافة والدين فقد ازدهرت الفنون والثقافة بها في هاته الفترة حيث كانت الدولة تستقطب العلماء وأهل الدين وكذا الفلاسفة والأدباء، واهتم الحماديون بتطوير العمران والفنون المتعلقة به فشيدوا المساجد والفنادق والقلاع.

علاقة الحماديين بغيرهم من الأمم:

كثيرا ما تذبذبت علاقات الحماديين بغيرهم من القبائل المجاورة لها أو الأمم الأخرى، وخير دليل على ذلك الخلافات المتواصلة بين الدولة الحمادية بقيادة حماد والدولة الزيرية بقيادة ابن اخيه باديس والتي تطورت إلى حد المواجهة العسكرية بينهما، وفي حين آخر يلتجآن إلى الصلح لمجابهة الأعداء الخارجيين أو الثورات المحلية في الدولتين، ويعود قيام

الدولة الحمادية في بلاد المغرب إلى بعد صراعهم مع الزيريين ولفترة طويلة، وبداية هذا الصراع يعود إلى بناء حماد للقلعة التي استوطن بها، ومنها بدأت أطماعه في بناء دولة خاسة به وبأبناءه منشقا بذلك عن الدولة الزيرية وولائها له، أما بنو هلال فقد ربطتهم علاقات طيبة مع الحماديين خاصة بعدما تغلب بنو هلال على الجيش الزيري وألحقوا بهم هزيمة شنعاء وأخرجوهم من مناطقهم، ولتطور هذه الأحداث عمل الحماديون على الصلح مع الهلاليين لضمان أراضيهم وممتلكاتهم، فسكن بنو حماد المدن وتركوا الأرياف للهلاليين، كما أظهروا ولائهم للفاطميين تجنبا للصراع معهم.

ولقد اتبع الحماديون مع زناتة عدة وسائل سياسية وصولا إلى إخماد ثوراتهم المتلاحقة، ومن أبرز هذه الوسائل: التفريق بين بطونهم المختلفة، وقد آثر الحماديون من بطون زناتة بني ومانو واستمالوهم أيضا لجؤوا إلى سياسة المصاهرة حيث أنهم تزوجوا من أخوات ماخوخ رئيس بني ومانو.(2)

سقوط الدولة الحمادية:

سقوط الدولة الحمادية التي تأسست في شمال إفريقيا في القرن الحادي عشر، كان نتيجة لتراكم عدة عوامل سياسية و اقتصادية وعسكرية، ففي البداية شهدت الدولة الحمادية تطورا كبيرا وازدهارا في مجالات الثقافة والفنون والعمران، بالإضافة إلى قوتها العسكرية لكن مع مرور الوقت بدأت تتعرض لضغوط من القبائل المجاورة لها خاصة الموحدين والمرابطين الذين كانوا يسعون لتوسيع نفوذهم في المنطقة، ومن هنا تدهور الوضع الداخلي للدولة الحمادية حيث نشبت صراعات داخلية بين الأمراء والنخب السياسية مما أدى إلى ضعف السلطة المركزية وبالتالي سقوط الدولة الحمادية بعد ان تمكن الموحدون من السيطرة على عاصمتها،مما أنهى حقبة من الاستقلال السياسي وفتح المجال لتغيرات جذرية في المنطقة.